DIA kepgn çalalım
Rak.

الجوانب الفلسفية في كتابات

ابن السيد البطليوسي

تأليف
حسن عبد الرحمن علقم

دار البشير

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م

١٨٩
حسن حسن عبد الرحمن علقم
الجوانب الفلسفية في كتابات ابن السيد البطليوسي /
حسن عبد الرحمن علقم ، اشراف سحبان خليفات ـ عمان :
دار البشير للنشر ، ١٩٨٧ .
(٢١٦) ص
ر . أ (١٩٨٧/٥/٢٢٠)
١ ـ الفلسفة الاسلامية أ ـ العنوان
ب ـ سحبان خليفات (مشرف)
(تمت الفهرسة بمعرفة مديرية المكتبات والوثائق الوطنية)

دار البشير
للنشر والتوزيع

هاتف : ٦٦٤٤٢١ - ٦٧٠٢٣٠ - ص. ب : ١٨٢٠٧٧ العبدلي - بناية الدرة - مقابل البنك العربي - عمان - الاردن

الإهداء

إلى عشاق الحق ، وطلاب الحقيقة، وإلى والديَّ ، وإلى أخي محمد
أهدي هذا البحث . عربون محبة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لا يزال جزء كبير من تراثنا مفقوداً، أو ضائعاً. ويحس المرء بالذهول حين يكتشف أن معظم آثار المفكرين ليس موجوداً، أو منشوراً. وأبرز شاهد على هذا، المؤلفات التي يذكرها كُتَّاب التراجم لابن السيد، وشيوخه، وتلاميذه.

يرجع ضياع كتب التراث، والجهل بها إلى عوامل متعددة منها: ضعف حركة جمع المخطوطات وتحقيقها، وتلف الآثار بفعل الزمان والكوارث التي حَلَّت بالعالم الإسلامي كما حدث في بغداد عندما ألقى التتار النتاج الإسلامي في نهري دجلة والفرات مما أدى إلى انتكاسة حضارية في التراث الإسلامي. كما لعبت الانتكاسات الثقافية التي منيت بها أمتنا دوراً في محاربة الفكر الفلسفي على فترات متباعدة في التاريخ، في المشرق والمغرب، إذ حرقت مجموعات هائلة من المؤلفات النفيسة نتيجة الحقد والتعصب: لقد شاهد «ابن حزم» كتبه تُحرقُ أمام عينيه[1]، لا لشيء إلاَّ لأنه قال ما يجب أن يُقال، وطورد ابن السيد بسبب اشتغاله بما هو محظور[2].

يُمثِّل ابن السيد واحداً من المفكرين الذين أغفلتهم الدراسات الحديثة،

---

(١) يقول ابن حزم عندما حرقت كتبه من قبل المعتمد بن عباد

فإنْ يحرقوا القرطاس لا يحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس، بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزِلْ ويدفن في قبري

ياقوت الحموي: معجم الأدباء. طبعة د. فريد الرفاعي ج ١٢، ص ٢٤٨.

(٢) **انظر ص ٢٤ من هذه الرسالة.**

بالرغم من موقعه العظيم بين الفلاسفة الأندلسيين . ولم يكن ابن السيد مجهولاً للدارسين القدماء، إذ عدَّهُ معظمهم إماماً وحجة في العلم، غير أن هؤلاء قد أحجموا بفعل الجو الديني المتطرف عن ذكر الفلاسفة وآثارهم فتغاضوا عن إظهار ابن السيد فيلسوفاً، وأبرزوا تفوقه نحوياً ولغوياً.

لقد اعتبر بعض المستشرقين إدراج ابن السيد ضمن قائمة النحاة وعلماء اللغة هفوة ارتكبها كُتَّاب التراجم والسير، اذ كان الأولى بهؤلاء أن يُدرجو ابن السيد في عداد الفلاسفة[1]، غير أنني أميل إلى اعتبار هذا الامر تصرفاً مقصوداً من كُتَّابِ تَراجِمٍ كان معظمهم من ذوي الاتجاه التقليدي المحافظ، والدليل على هذا «العمد»، أنه لا يوجد مرجع قديم واحد يشير صراحةً إلى أفكار ابن السيد الفلسفية، وكل ما نجده عبارات تشير من بعد، وبإيجاز شديد إلى توجهه الفلسفي[2]. ولهذا كله وبالنظر إلى إغفال ذكر ابن السيد قديماً، وحديثاً فيلسوفاً، ولِما يُمثِّله من أهمية بالغة في تراثنا الفلسفي القديم، ولأنه يمثل الحلقة المفقودة التي تربط بين عهدين متمايزين من عهود الفلسفة في الأندلس، الأول: ويمثل تلك المحاولات الفلسفية المبعثرة التي كانت بمثابة وليد لم يكتمل بعد. والثاني : ويمثل مرحلة النضج الفلسفي، حيث أصبحت المشكلات الفلسفية معروفة، وذات منهج واضح حيث نَظَّم ابن السيد تلك المعارف وقام بتنسيقها، وأرسى قواعد المذهبية في فلسفة الأندلس. فضلاً عن تلك التأثيرات الفكرية العميقة التي خَلَّفها ابن السيد في أعلام الفلسفة كابن عربي، وابن رشد، لذلك كله، قمت بهذه الدراسة بغية الكشف عن عناصر فكره، وبيان خصائص تلك الحقبة من تراثنا القديم.

(١) هنري كوربان، تاريخ الفلسفة الإسلامية، منشورات عويدات بيروت، ١٩٦٦، ط ١، ص ٣٥٠.

(٢) يقول الفتح بن خاقان عن تمكن ابن السيد في العلوم القديمة، أي «العلوم الفلسفية» :-
«كان له تَحَقُّق في العلوم الحديثة والقديمة، وتصرف في طرقها القويمة».
المقري: أزهار الرياض، : ٣، ص ١٠١.

اعتمدت في هذه الدراسة، وبشكل رئيسي، على نسخة كتاب «الحدائق» التي استحضرتها من إسبانيا، وقمت بمقابلتها مع نسخة أخرى من مخطوط «المسائل والأجوبة»، فتوفَّرت لي بذلك نسختان من الكتاب وقد تبين لي أن الاختلاف بين النسختين ضئيلٌ جداً.

أمّا عن المصادر الأخرى للدراسة فقد قمت بجمع المادة الفلسفية المبثوثة في معالجة ابن السيد لمختلف المسائل اللغوية والنحوية سواء الواردة في مخطوط «المسائل والأجوبة» أو في مخطوط «المسائل». وعمدت الى كتبه المطبوعة في اللغة والنحو والفقه، فاستخلصت ما احتوت عليه من شروح ومعانٍ فلسفية. وقد كان لكتاب «التنبيه» أثرٌ بالغ في الكشف عن توجهات ابن السيد الفلسفية في معالجته لبعض الإشكاليات الفلسفية المتعلقة بحرية الإرادة، طبيعة الفعل الإلهي والإنساني، وفي هذا الكتاب يبرز دور ابن السيد في اعتماده منهج التأويل لتفسير القضايا الكلامية والفلسفية المطروحة على بساط البحث. كما يُبرزُ هذا الكتاب منهج التحليل اللغوي ودوره في فهم وحل المعضلات الفلسفية. يكشف كتاب «إصلاح الخلل الواقع في كتاب الجمل» والذي وضعه ابن السيد كشرحٍ تصويبي لفكر «الزجاجي»، عالم اللغة المعروف عن اهتمامات منطقية. وقد عارض ابن السيد في هذا الكتاب تعريفات المناطقة وعلماء اللغة للاسم والفعل والحرف، كما وضع معلومات فلسفية هامة تناولت طبيعة الفعل الفلسفية، حيث وضَّح مفهوم «الحركية في الفعل» ضمن معالجته لمقولتي الزمان والمكان التي ترتبط بهما هاتان المقولتان، بالله والإنسان.

اشتملت هذه الدراسة على ثلاثة أبواب، اشتمل الأول منها على ثلاثة فصول، وقد خصصت الباب الأول لدراسة حياة ابن السيد البطليوسي، وأساتذته ،وتلاميذه، وبينت ما سيطر على حياته من تجوال وتطواف يعود إلى الطموحات الكبرى التي كانت تعتمل في نفسه، ورغبته في نشر معارفه الفلسفية

إضافةً إلى ملاحقة بعض الأمراء له بسبب اشتغاله بالفلسفة، أو السياسة. وقد يكون لسقوط إمارات الأندلس الواحدة بعد الأخرى أثر في دوام انتقاله وتجواله. وعلى كل حال فإنَّ الفيلسوف قد استقر آخر الأمر في مدينة بلنسية، متفرغاً للتدريس والتأليف.

بيَّنت في تتبعي لمن تتلمذ على ابن السيد ذلك العدد الكبير من الطلاب الذين تخرَّجوا على يديه، والذين مثَّلوا النخبة المثقفة من رجالات وقضاة، وفلاسفة الأندلس، من أصحاب المصنفات، والتراجم المشهود لهم بالمكانة العالية، والكفاءة والعلمية.

أمَّا شيوخه، فقد اقتصرت كتب التراجم على ذكر البارعين منهم في اللغة، والأدب، والنحو، والفقه، والحديث، وتحاشت ذكر المتفلسفة منهم، وهو أمر ذو صلة بطبيعة العصر.

وتناولت في الفصل الثالث من الباب الأول عناصر الثقافية الأندلسية في عهد ابن السيد وخصائصها، وأبرزت في تحليلي لهذه الثقافة اتجاهين رئيسيين طَبَعَا الحياة الأندلسية وحدَّدا طبيعة الفكر الفلسفي فيها- الاتجاه الأول: إتجاه باطنيٌّ يعتمد التأويل الفلسفي، ومنه انطلقت دعوات التصوف واتخاذ الرمز فكان منهلاً للجيل اللاحق من الفلاسفة المتصوفين. ويمثل هذا الاتجاه «ابن مسرّة» الباطني الجبلي.

- الاتجاه الثاني: اتجاه يدعو إلى تبسيط الفكر الفلسفي وتفسيره ظاهرياً، ومن ثم فإنَّه اتجاه يناهض التأويل والرمز والباطن، ويمثل هذا الاتجاه «ابن حزم الظاهري». وقد كانت شخصية ابن السيد مزيجاً من هذا كله، وإن كان الاتجاه الأول هو الغالب على فلسفته. لقد كان منهج ابن السيد، في رأيي، منهجاً انتقائياً وسطياً.

اعتمد ابن السيد على التأويل اعتماداً جذرياً، إلَّا أنه توقف كثيراً في

بعض القضايا، وجعل الشرع مصدراً لها، كما رفض التعليلات الفلسفية لبعض القضايا الدينية فـ «الأمور الدينية تؤخذ توقيفاً وتسليماً لأن الأمور الشرعية ليست لها علل».

أمّا الباب الثاني: فقد أفردته للبحث عن فلسفة ابن السيد، وقسَّمته إلى أربعة فصول: تحدثت في الفصل الأول عن ذات الله وصفاته. والله، عند ابن السيد، هو «السبب الأول، والعلة الأولى، وعلة العلل»[1] أي ان وجود العالم مستمدٌ من وجود الله.

استخدم ابن السيد «التأويل» في دراسته لمعنى الصفات الإلهية، التي رأى أنَّها لا يمكن، بأي حال من الأحوال، أنْ تماثل صفات الإنسان، وبالرغم من أنَّ القرآن الكريم قد صرَّح بصفات يتوهم المتأمل فيها أنها صفات حسية، إلَّا أنَّ الاشتراك في اللفظ بين موصوفين لا يعني التماثل بينهما. فالتماثل لا يكون إلَّا إذا تطابق الموصوفان لفظاً ومعنى. صفات الله قديمة وليست محدثة، وقد أثبتها القرآن الكريم. وعلم الله ذاتيٌّ لا يتسم بالكسب كعلم الإنسان الذي يعتمد الحواس والخبرة الشخصية. كما أن علم الله شاملٌ للكليات والجزئيات على حد سواء. ويدافع ابن السيد عن قول بعض الفلاسفة إنَّ الله لا يعلم إلَّا ذاته، ويرى أنَّ هذه المقولة قد أُسيء فهمها من قبل الكثيرين، لذا فقد اهتم ابن السيد ببيان المعاني المختلفة لهذه العبارة.

تحدثت في الفصل الثاني من هذا الباب عن قضية خلق العالم عند ابن السيد، فَبيَّنْتُ قوله بنظرية الفيض الأفلوطينية التي نُسِّقَت وأُلبست ثوباً إسلامياً عند الفارابي وابن سينا. فالعالم قد صدر عن الله بطريق الفيض. ويُمثِّل هذا بصدور الأعداد عن الواحد. فكما أنَّ الواحد يسري في العدد، وليس من العدد، فالله يسري في العالم، وليس من العالم - وكما يمكن أنْ يزول العالم

(١) ابن السيد البطليوسي: الحدائق، ص ٢٠.